http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (1517) السنة السادسة ـ الثلاثاء (26) ايار 2009

كتابة على الحيطان

أدويـــــــة بـعـــيـــدة ومـــــــواد مـــفـــقـــودة

عامر القيسي

اثناء اعداد هذا التحقيق عن ارتفاع نسب الاجهاض عن عام ٢٠٠٨ بنسب ٦٥٪، شاءت المصادفات ان التقي في جلسة عائلية مع ثلاث عوائل مشغولات باجهاض بناتهن (من كل عائلة امرأة) وفي مستشفى واحد،هو مستشفى العلوية للولادة . وهذا مادفعني الى التطفل والتدقيق في اجابات أسئلتي عن هذا الموضوع.

ورغم ان الاحاديث لم تكن تدور حول اسباب هذه الظاهرة، فالناس معنية بمعالجة مرضاهم قبل الاهتمام بالاسباب، الا ان الاجماع كان على معاناة هذه العوائل وغيرها مما يحدث في مستشفى العلوية للولادة. ورغم محاولاتي الملتوية لايجاد اي شكل من اشكال التناقض بين شكاوى هذه العوائل، الذين تفرقت اوقات معاناتهم مع المستشفى، الا انني صراحة فشلت في ذلك فشلا ذريعا، لان ادلتهم كانت اقوى من محاولات شق صفوفهم، لاكتشف مثلا نقاط المبالغة او الاضافات التي نشتهر بها عادة، ونسميها (البهارات). لكن موضوعا بهذه الخطورة والواقعية لم يكن يحتاج الى المبالغات والبهارات من اي صنف كانت!

المعضلة الاولى التي تواجه مرافق او مرافقة المريضة، هي اجراء الفحوص المختبرية، فرغم وجود مختبر حديث باجهزته، الا ان الجواب الذي عادة ما يحصلون عليه، لاتوجد مواد التحاليل او نفدت، مما يحمل المريضة مشاق الذهاب الى مختبر خارجي وسط جونا اللاهب ورفض حمايات المستشفى وقوف اي سيارة امام باب المستشفى لنقل مريضة او انزالها! فضلا عن التكاليف المالية للتحاليل الخارجية التي تشكل عبئا على العوائل الفقيرة وما اكثرها!

المعضلة الثانية، هي تكليف مرافق المريضة بان يجلب نوعاً محدداً من الدواء من مكان محدد في منطقة الحارثية، وبمبلغ لايقل عن ال ٦٠ الف دينار، والسؤال المثير هو.

لماذا من الحارثية ومن مكان واحد فقط، وكأن كل صيدليات بغداد، على كثرتها، عاجزة عن جلب مثل هذا الدواء السحري ! فضلا عن المعاناة الرهيبة في الذهاب الى الحارثية انطلاقا من المستشفى، وهي مسافة بعيدة جدا وسط الازدحام المرورية واختناقاتها ؟

والسؤال الذي يتبعه:

ماذا لو كانت المريضة في حالة خطرة ولا يسعف الوقت بين المستشفى وصيدلية (.....) في الحارثية على انقاذ حياتها ؟

لن ندخل في التفصيلات الاخرى التي نرى انها متوفرة وبنجاح ساحق في اكثر مشافينا بل وفي اكثر مؤسساتنا الحكومية، ولن نتوقف كثيرا عند شراء الدم من خارج المستشفى وفي بعض الاحيان ابسط الامور الطبية التي من المفترض ان تكون متوفرة في المستشفى وصيدليته.

سنتوقف عند هذه النقطة ونطالب باجابة شافية ووافية ومقنعة، سواء من المستشفى او المسؤولين في وزارة الصحة، فهل يعقل ان يستطيع فرد بمفرده ان يوفر دواءا لانقاذ حياة الناس تعجز الدولة ومؤسساتها عن توفيره ؟

هل يعقل ان تستطيع مختبرات التحاليل الخاصة ان تؤمن المواد الخاصة بعملها دون ان تستطيع ذلك مستشفيات الدولة بامكاناتها الكبيرة؟!

لن نتجنى على احد ولن نحمل احدا خارج اطار مسؤوليته، لكننا سمعنا من الناس، من الذين دخلوا المستشفى وعانوا من هذه الحالات باشكال مختلفة، المادية منها والنفسية، وتحديدا حول قضية الدواء الخاص ومواد التحاليل النافدة، بسبب كثرة حالات الاجهاض، كما تقول دكتورة من داخل المستشفى.

المنطقي ان يدخل المريض الى المستشفى ليجد فيها الدواء والغذاء وكل مستلزمات تشخيص مرضه ومعالجته وانقاذه من آلامه، دون تحميله الكثير من العناء، فوق معاناته، فيكون الفحص في مكان وشراء الدواء من مكان آخر وجلب الاحتياج الى الدم من مكان ثالث، هذه رحلة، فوق ارهاقها، فانها تأخذ زمنا طويلا قد يؤدي في نهاية الامر الى زيادة المخاطر على حياة المريضة أو الجنين.

اسئلة بلا اتهامات عسى ان نجد من يجيبنا عليها فيريحنا ويريح من عانى من مشكلاتها!

١٥٠ حالة اجهاض شهرياً في مستشفى واحد فقط !

الزواج الخاطيء و (داء القطة) والماء الملوث وراء انتشاره

كتابة وتصوير
ايناس طارق

الساعة الخامسة صباحا نقلت ياسمين محمد الى مستشفى ابن البلدي، الواقع في منطقة الطالبية بعد شعورها بآلام شديدة في منطقة البطن،، كانت سببا لفقدان جنينها وهو في الأشهر الأولى من عمره، والاسباب لم تكن معروفة من قبلها او من الطبيبة، التي اشرفت على عملية الإجهاض غير المتعمد.وما نقصده بهذا الكلام ان الإجهاض حدث فجأة وبدون اية علامات أو اشارات مسبقة كان بإمكانها ان تساعد ياسمين في اخذ الحيطة والحذر.

في صباح اليوم ذاته استقبلت صالة العمليات في المستشفى عشرين حالة اجهاض غير معلومة الاسباب و ياسمين نفسها لم تكن تعلم ما حدث لها تماما لان الألم داهمها فجأة في ساعات الصباح الباكر، وتسبب بإصاباتها بحالة نزف شديد نقلت على أثره الى المستشفى. ولكن مع الاسف الوقت كان متأخراً لانقاذ الجنين وهو في اشهره الاولى. لم تحدد أسباب الإسقاط، خصوصا بعد اجراء التحاليل اللازمة التي أجرتها حوراء عقب عملية الإجهاض بساعات للوقوف على السبب الرئيسي لحدوث ذلك،علما ان ولادتها الاولى كانت طبيعية قبل عام من هذا الإجهاض، ولم تحدث اية اضطربات خلال فترة الحمل السابق.بالنسبة الى حالتها فقد كانت أفضل بكثير مقارنة ببقية المريضات التسعة عشر اللواتي كن في المستشفى لغرض الإجهاض حسب توصيف الدكتورة وفاء صالح طبيبة اختصاص نسائية وتوليد في مستشفى ابن البلدي المختص للإمراض النسائية والاطفال.

العيادات الاستشارية.. ١٠ حالات يوميا

العيادات الاستشارية في المستشفى تستقبل يوميا ما لايقل عن عشر حالات إجهاض بين منسي،كامل، وناقص، واسقاط مهدد، وتختلف كل حالة عن الأخرى، وحسب الدكتورة وفاء، فان من جملة الأسباب التي تؤدي الى التأثير المباشر على زيادة نسب الإجهاض، هو سوء التغذية الصحية والصحيحة،فضلا عن، تردي الوضع الاقتصادي الذي له تأثير مباشر في نوعية الغذاء الذي يعتبر أساسيا للمرأة الحامل.وهناك أسباب ًاخرى هو إصابة المرأة الحامل بتكيس المبيض والذي لايكتشف الابعد حدوث الحمل وفقدان الجنين في اشهره الاولى،وهذه الحالة تسبب مستقبلا الاصابة بالعقم الدائم اذا لم تعالج منذ البداية. وبعض حالات الإجهاض بسبب إصابة المرأة بمرض داء القطة،والذي ينتج عن تناول اللحوم غير المطبوخة جيدا، كذلك عدم تعقيم وغسل الخضروات بمادة الكلور المعقمة،والتي تسبب في اصابة الجسم بنوع من الفيروسات التي تؤدي الى موت الجنين،فضلا عن التوترات الامنية التي يعاني من آثارها المجتمع العراقي بمختلف فئاته . ومن الامور المهمة ايضا في حدوث الإجهاض هو الكروسومات (العوامل الوراثية) مثل زيادة نسبة الهرمونات في الدم والتي تؤدي بدورها الى زيادة نسبة الحليب عند المرأة والذي يسبب هذا إفرازا يؤدي الى موت الجنين خلال الأشهر التسعة للحمل. وغالبا ما يكون الإجهاض في الاشهر الثلاثة الأولى. وهذه الجينات الوراثية لايمكن كشفها حاليا لعدم توفر أجهزة كشفها في المؤسسات الحكومية.

ماهي تأثيرات العمر ؟

ان المرحلة العمرية للمرأة لها تأثير كبير في حدوث الاسقاط، فالمرأة التي في العقد الثالث من عمرها،لابد من ان تضع في حسابها انها معرضة للإجهاض، لان عمرها متقدم مقارنة بسن الانجاب الطبيعي، فضلا عن ان النساء الصغيرات في العمر(١٢-١٣) سنة معرضات الى الإجهاض، واحيانا خطر فقدان حياتهن لأنهن صغيرات،وهذا الامر تصرح به الدكتورة وفاء وتؤكد بكل صراحة: هذا ما يحدث في المجتمع العراقي الحالي، والأسباب يمكن تلخيصها بعدة كلمات (عمر الفتاة لايؤهلها لان تكون اما،وثانيا الوضع الاقتصادي السيئ والتغذية غير الصحيحة،فضلا عن، نقطة مهمة جدا،وهي قلة الوعي الصحي ان كان بالنسبة،للزوج وعائلته أو الفتاة نفسها وعائلتها الذين لايجلبون المرأة الى بعد تعرضها للنزف الشديد لغرض علاجها وعندها يكون الوقت قد اصبح متأخرا جدا لانقاذ الجنين!)

قابلات غير مؤهلات

نورفتاة تبلغ من العمر١٦ عاما نقلت الى المستشفى في حالة خطرة جدا أدخلت على أثرها االى صالة العمليات الكبرى لإجراء عملية قيصرية لإصابتها بنزف دموي شديد أدى الى انفجار منطقة الرحم وفقدان الجنين، بعد ان عجزت القابلة في منطقتها من اجراء الولادة بشكلها الطبيعي،وهذه الحالة لاتعد الوحيدة او المثالية التي يستقبلها مستشفى ابن البلدي او بقية المستشفيات النسائية في بغداد.

وحسب الدكتورة وفاء الصافي: فإن المجتمع العراقي وفي بعض المناطق السكنية المكتظة بالسكان،بحاجة الى الإرشاد والتوعية الصحية والا كيف يمكن ان نفسر ان تتعرض حياة فتيات الى خطر الموت نتيجة تعرضهن الى النزف الذي يسبب انفجار منطقة الرحم وجلبهن الى المشتشفى في وقت يصبح فيه إنقاذ الام هي المهمة الاولى!

فتيات كن ضحية زواج خاطئ وجهل صحي كبير،فالفتاة التي تزوجت بعمر ١٣ عاما ماذا تعلم هي عن الحمل وامورة،او عندما ينتابها المخاض، يأخذها زوجها او حتى عائلتها الى القابلة التي لاتعلم شيئا عن حالتها او ما تعرضت له من تاثيرات اثناء فترة الحمل، وأحيانا تكون تلك القابلة، غير مؤهلة لإجراء عمليات ولادة. ومع الأسف عندما تتعرض حياة الفتاة الى الخطر يرفض الزوج وعائلتها الإفصاح عن عنوان او اسم القابلة، فضلا عن، ان الفتاة الصغيرة المتزوجة قد تكون مصابة بتكيس المبايض الذي يؤدي الى صعوبة الولادة الطبيعة،او زيادة الهرمونات التي تسبب في حدوث ولادة مبكرة، والكثير من الأسباب الأخرى مثل تناول الادوية بدون وصفة طبية والتي كانت سببا كافيا لفقدان الرحم للتحسسات ومن ثم عدم حدوث المخاض وموت الجنين في الأشهر الأخيرة من الحمل وهنا لابد من أجراء عملية قيصرية، والا تعرضت الفتاة الى الموت المفاجئ.

حالات الإصابة بالعقم

صلاح يبلغ من العمر خمسة واربعين عاما لم يرزق بطفل، ولم يعلم السبب الذي كان يؤدي الى فقدان الجنين في الأشهر الأولى من حمل زوجته،فقد تكررت حالة الإجهاض عند زوجته لثلاث مرات اضطر على أثرها إلى بيع أثاث منزله، من اجل السفر الى احدى البلدان المجاورة،لاجراء عملية التلقيح الاصطناعي،لكن فوجئ بعد إجراء التحاليل، ان سبب تعرض زوجته الى الإجهاض المتكرر هو إصابتها بداء القطة،وبعد مرور عدة اشهر من العلاج حدث الحمل ولكن الأطباء هناك اكدوا له انهما لن يرزقا بأطفال مستقبلا لاصابة زوجته بالعقم بسبب تأخر العلاج، فضلا عن ان تكرر حالة الإجهاض سبب عقما دائميا.

وحسب الدكتور محمد فتحي الياسري مدير مستشفى ابن البلدي: فإن مسالة انتشار الإصابة بالعقم بين الرجال والنساء تختلف كلاً حسب الحالة التي تعرض لها،فلا يمكن ان نقول إن من أسباب العقم هو تعرض البيئة في العراق الى القنابل المنضبة او إشعاعات الأسلحة، لان الامر يحتاج الى دليل ونتائج وبحوث ملموسة. لكن عندما نقول ان مدينة التويثة التي تعرضت الى خطر الاشعاع الكيميائي بسبب استخدام السكان البراميل الحافظة للمواد المشعة،او مدينة البصرة تعرضت الى الضرب بالقنابل الانفلاقية، فهذا امر لايمكن الاعتراض عليه لتناقله ضمن وسائل الاعلام والتصريحات العسكرية أكدت ذلك، فضلا عن ان الإصابة بالعقم تتركز على الحالة النفسية، وهذا شي لايمكن تجاهله، فالشباب العراقي تعرض الى ضغوط نفسية كبيرة أثرت بشكل كبير على حياته ووضعه الاجتماعي والاقتصادي،كذلك الإصابة المبكرة بداء السكري وارتفاع ضغط الدم نتيجة الشد العصبي، و تأثيرات الظروف الاجتماعية الصعبة التي مرت على الجميع في العراق. واثرت في التكوين النفسي والفسيولوجي للفرد.

إحصائية تشير الى تزايد حالات الإجهاض، من قسم الإحصاء في مستشفى ابن البلدي.

سنة ٢٠٠٨ / حدوث ٨٥ حالة اسقاط شهريا

سنة ٢٠٠٩/حدوث ١٥٠ حالة اسقاط شهريا

زيارة مفاجئة

زيارتنا كانت مفاجئة الى مستشفى ابن البلدي،والوقت كان قد تجاوز الحادية عشرة صباحا.مظاهر النظافة كانت واضحة للعيان وملموسة. تعاون المراجعين مع المنتسبين من اجل المحافظة على الهدوء والنظام، خدمة للصالح العام كان واضحا جدا ايضا. توفر المستشفى على اجهزة حديثة في مختبراته تساعد على اكتشاف الامراض المختلفة منها(الثلاسيميا، اللوكيميا، الغدة الدرقية، ارتفاع نسبة الهرمونات) مما سهل كثيرا اختصار الوقت والمال في آن واحد لان الجهاز المستخدم في داخل المختبر يظهر نتائج التحاليل بعد ساعتين فقط وبمبلغ ٥٠٠ دينار فقط ، وهو سعر تذكرة المراجعة،انما في المختبرات الخارجية فان سعر التحليل الواحد يصل الى أكثر من ٢٥٠٠٠ الف دينار.

مستشفى العلوية والعيادات الاستشارية

عندالدخول الى مبنى مستشفى العلوية للولادة، وقبل التوجه الى مكتب مديرة المستشفى للاستفسار منها عن أسباب زيادة حالة الإجهاض خلال الأشهر الماضية المنصرمة، كان لابد من المرور من امام العيادات الاستشارية النسائية في المستشفى.لفتت انتباهنا امرأة كبيرة في السن، ترتدي عباءة سوداء كانت جالسة على احد المقاعد في الصالة المخصصة للمرضى المراجعين للمستشفى وقد اسندت رأسها على الجدار المقابل لصالة العمليات.

كانت تبكي بمرارة،فابنتها البالغة من العمر سبعة عشر عاما تحتضر الآن في غرفة العمليات،لان الجنين توفي في بطنها بدون ان تعلم ذلك الأبعد وقت متأخر، وكلما كانت تخبرهم بزيادة الألم في بطنها كانوا يقولون لها، ان هذه الآلام هي تحضيرات للولادة،لكن صعود المشيمة على صدرها سبب خطرا على حياتها.وعن هذه الحالة تقول الدكتورة سنية عبد اللطيف (طبيبة اختصاص نسائية، ومدير القسم الفني،ومعاون المدير في مستشفى العلوية:» هناك بعض النساء الحوامل تكون مراجعتهن إلى الطبيبة، في المستشفى او المركز الصحي متأخرة، وفي هذه الحالة يكون تدخل الطبيبة جراحيا اكثر مما هو معالجة سررية، ومقارنة هذه الحالة المرضية ببقية الحالات التي تنقل متأخرة الى المستشفى أفضل، لأننا يمكن ان نتدخل جراحيا لإنقاذ إلام فقط،وهذا النوع من الإجهاض يطلق عليه (إجهاض بسبب إلام) والتي تلعب دورا كبيرا في حدوثه، والأسباب عدم مراجعة الطبيبة لتحديد موعدٍ الولادة وخصوصا اذا كانت (بكراً) وصغيرة العمر،فنلاحظ ان الفتاة تعتمد على نصائح قريباتها، و احيانا تتناول أدوية توصف لها عشوائيا وعندما تذهب الى الطبيب يكون اسم الدواء مغايرا لما هو مطلوب، فيكون الإجهاض بسبب قلة دراية ومعرفة الام بكيفية المحافظة على الجنين.

العيادات الاستشارية

واكدت الدكتور سنية ان العيادات الاستشارية في مستشفى العلوية تستقبل منذ بداية عام ٢٠٠٩ اعداد متزايدة من النساء نتيجة تعرضهن الى الاجهاض المبكر وأشارت سنية عبد اللطيف، ان نسبة الإجهاض مقارنة بعام ٢٠٠٨ ارتفعت كثيرا وهذا ما نستقبله في العيادة الاستشارية لمستشفى العلوية للولادة، إضافة الى ان الماء الملوث يعتبر سببا لحدوث الإجهاض فهو يحمل الفيروسات والبكتيريا التي تساعد على إجهاض الجنين لما تسببه من امراض في منطقة الرحم.

اللقاحات.. أسباب قديمة

الدكتورة سنية عبد اللطيف ترى إن حالات الإجهاض تكون عادة بسبب الإصابة بمرض الحصبة الالمانية،وهذا ما لاحظناه عند الفتيات المتزوجات تحديدا. وتنحصر أعمارهن بين (١٨ــ١٩) عاما وهذه الاعمار لم تحصل على اللقاح بسبب الحصار الاقتصادي منذ عام ١٩٩٠.وبعد مرور كل تلك السنوات نحصد الآن العواقب الوخيمة لسوء اعمال النظام السابق،علما ان الاصابة بمرض الحصبة تؤدي الى الاجهاض المبكر. كذلك الاصابة بمرض داء القطة الذي انتشر في الاونة الاخيرة بين النساء الحوامل، فضلا عن ارتفاع نسبة الهرمونات الذكرية على الانثوية والتي تعتبر سببا رئيسيا لحدوث الاجهاض المبكر. لان ارتفاع،نسبة الهرمونات يسبب في زيادة الوزن،وظهور الشعر في منطقة الوجة ولكن مجتمعنا يرفض عرض الفتاة على طبيبة نسائية قبل الزواج اذا تعرضت الى انقطاع الطمث،وعندما تتزوج تحدث الطامة الكبرى،وتوثر سلبا على حياتها لان ارتفاع الهرمونات لها تاثيراته السلبية ليس فقط على الجنين وانما على العوامل النفسية والفسيويولوجية لكل اعضاء الجسم الانثوي.

اليورانيوم المنضب

ان التلوث البيئي الذي تعرض له العراق بسبب الحروب السابقة والاخيرة،والقنابل التي استخدمت في هذه الحروب كانت تحتوي على مادة اليورانيوم الاشعاعي،والذي اصاب الجينات الوراثية وتسبب في تشوهات خلقية مختلفة الاشكال بين الاجنة، تظهر نتائجه الان ومستقبلا وهذا كلام ليس ارتجاليا انما اثبت علميا وطبيا،حسب تأكيدات معاونة مدير مستشفى العلوية الدكتورة سنية.

ولم يقتصر الامر الى هذا الحد، انما نتيجة التلوث البيئي الذي تعرض له العراق بسبب الحروب السابقة والاخيرة والتي تعرض خلالها الى القنابل الحاوية على اليورانيوم المنضب الذي سبب كثيرا في تشوه الجينات الوراثية عند النساء الامر الذي لايمكن تجاهله ومعالجته بسرعة لان المواطن العراقي، من كلا الجنسين، معرض للاصابة بالامراض السرطانية والامراض المعدية، وحاليا لايمكن الكشف عن الاصابة بهذه الامراض لعدم وجود الامكانات الطبية والمادية للكشف المبكر عن الاصابة بالامراض السرطانية عند المريض، فضلا عن، ان نسبة الاصابة بسرطان الثدي والعقم قد ازدادت بين النساء والرجال ايضا بالنسبة للاصابة بالعقم.

اضافة الى ان الاسباب التي يمكن ان تكون سببا رئيسيا في الاصابة بالاجهاض المبكر هو الاصابة بداء السكري عند النساء، والمرأة لاتعلم بذلك الابعد التعرض الى الاجهاض واجراء التحاليل اللازمة، اضافة الى ان التغذية الجيدة، من تناول الغذاء المتكامل (الفيتامينات والحليب) يساعد على تقوية مقاومة المرأة ضد الامراض التي يمكن ان تصاب بها خلال فترة الحمل وخصوصا في الاشهر الاول، اذن التغذية تلعب دورا كبيرا في المحافظة على صحة الام والجنين ولكن مع الاسف المرأة العراقية لاتهتم بتلك الامور التي تعتبر مهمة ورئيسية.

فصيلة الدم.. احدى المشكلات

تعلق الدكتورة سنية على هذه المشكلة قائلة: عندما يأتي الشباب لاجراء فحوصات الدم والتي تظهر عدم تطابق دمهما،من الخطأ اكمال اجراءات الزواج،لكن العوائل اضافة الى الشباب لايعتبرون ذلك خطرا في المستقبل على صحة الجنين والام في بعض الاحيان،وبمجرد حدوث الحمل يحدث الاجهاض،او تكون النتائج المستقبلية اكمال فترة الحمل وولادة طفل معوق او مشوه، وهي حالات كثيرة نشهدها باستمرار في مستشفيات العراق ! المشكلة الان ليس فقط الاجهاض، انما الاصابة بالعقم، ومع الاسف، هذا المرض انتشر بارقام كبيرة بين فئات عمرية مختلفة،لم تجدحلا لمشكلتها غير اللجؤ الى التلقيح الاصطناعي في بعض الدول المجاورة،وكانوا ضحايا،لانهم انفقوا اموالهم دون الحصول على نتائج ايجابية، وهذه الامور يمكن ان يتجاوزوها لو انهم عرضوا انفسهم على اطباء اكفاء،يمارسون عملهم في المؤسسات الحكومية،وحاليا جميع الاجهزة الطبية، (الاشعة،الفحص الصوري) المواد الخاصة بالتحاليل متوفرة في المختبرات ومجانا.فهي دعوة لكل الازواج لمراجعة المستشفيات الحكومية للاستفادة من الخبرة العلمية، وهذا الاجراء افضل من السفر وضياع الوقت والمال، او مراجعة اطباء غير كفوئين يستغلون اسماء غيرهم لجذب المراجعين!.

اجـــهـــزة حـــديـــثـــة لـــفـــحـــص الـــهـــرمـــونـــات

اطـــفـــال خـــدج في الحـــاضـــنـــات